

الاكتساب اللغوي: مقارنة لسانية وظيفية

Language Acquisition: A Linguistic Functional Approach

بشرى البلقاسمي (1)

الملخص

تجاوزت الأبحاث المعاصرة مداخل الاكتساب اللغوي الأحادية، واتجهت نحو تبني مداخل الاكتساب المتفاعلة بين المعرفي اللغوي والإدراكي والسياقي، يندرج المقال في هذا الإطار حيث سيتم فيه معالجة الاكتساب اللغوي وفق مقارنة لسانية وظيفية، استنادا على مبادئ و إواليات نموذج التبادل اللغوي الأوسع (هنخفلد وماكنزي، 2008) و النموذج المعدل (البلقاسمي 2019) ومكونه اللغوي نحو الخطاب الوظيفي، وسيعتمد المقال منهجية استقرائية قائمة على بسط اهم النظريات التي قاربت موضوع الاكتساب اللغوي ، بدءا من النظريات التي نصت على المدخل الأحادي، وصولا إلى تلك التي وقّعت بين مداخل الاكتساب المتعددة. ، ليتم بعد ذلك تعريف القدرة التواصلية المقترحة ضمن اللسانيات الوظيفية ،ثم تحديد مكونات نموذج التبادل اللغوي الأوسع الممثل لها وجرّد طبقاته، ليتم بعده توظيف النموذج في وصف مراحل الاكتساب اللغوي و تفسيرها من مرحلة النمو الصوتي إلى مرحلة إنتاج الملفوظات الثنائية ،و سيتبين توافق نموذج التبادل اللغوي الأوسع مع النظريات التي افترضت مداخل الاكتساب المتفاعلة ، إذ سيكشف العمل أن تطور المكون اللغوي يوازي تطور المكون الإدراكي والمكون المعرفي الذي يسمح بالتسوية و المقولة ، ويزوّد المعجم بالرصيد المتنامي ، و لقد اتضح أن النموذج كذلك يستوعب كل فرضيات تمهيد الاكتساب، حيث يكون التمهيد في البدء تطريزيا ثم دلاليا فتركيبيا، ولنستخلص أن تحفيز الاكتساب يستلزم الاشتغال على كل مداخله.

الكلمات المفتاحية: الاكتساب اللغوي، مداخل الاكتساب، القدرة التواصلية ، مكون معرفي ، النظرية اللسانية الوظيفية

[DOI: 10.15849/ZJJHSS.220508.12](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.220508.12)

(1) الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين فاس/ مكناس،المغرب.

Abstract

Contemporary research has gone beyond radical language acquisition approaches that claim linguistic, cognitive or perceptual primacy, and moved toward adopting interactive acquisition theories, that support the interaction between these disciplines. The article falls within this framework, in which language acquisition will be addressed according to a functional linguistic approach, based on the strengths of functional discourse grammar as a grammatical component of a larger theory of verbal interaction (Hengeveld & Mackenzie, 2008) , and the modified model (El Belkasm, 2019). The article will adopt an inductive methodology based on the extension of the most important theories that approached the subject of language acquisition, starting with theories that stipulated the unilateral approach, to those that reconciled the multiple interactional approaches to acquisition. After that, we're going to use the FDG model to describe the stages of language acquisition and explain them from the stage of phonetic development to the stage of the two-word enunciations. Furthermore, It will be seen that the FDG model is compatible with theories that impose interactive acquisition approaches, as the work will reveal that the development of the linguistic component parallels the development of the others likes the cognitive perspective, contextual and praxis component which provides the lexicon with the evaluative vocabulary. it became clear that the model also accommodates all the assumptions of Bootstrapping acquisition theories, where the primer is in the beginning prosodic, then semantic, then syntactic, and let us conclude that stimulating acquisition requires working on all its inputs. Keywords: language acquisition, acquisition approaches, communicative competence, cognitive component, , functional linguistic theory.

المقدمة

شغلت مسألة الاكتساب اللغوي باحثين من حقول معرفية متعددة، كالفلسفة وعلم النفس وعلوم الأعصاب واللسانيات، غير ان فهم طبيعة هذا الاكتساب وتحديد الآليات المسؤولة عنه يستلزم تحليلا مكثفا للظاهرة اللغوية من خلال تبني نظرية لسانية مرنة، تتسم بالانفتاح على نتائج الأبحاث النفسية والعصبية، ثم تتبع الاكتساب عند الطفل بدقة في كل مراحلها، ولقد اختلف الباحثون حول طبيعة القدرات البدئية التي تتيح الاكتساب اللغوي، هل هي إجراءات عامة للتعلم تتدخل في مجالات أخرى من المعرفة؟ أم خاصة بالمعالجة اللغوية دون غيرها؟ ثم في طبيعة المدخل الذي يمهد لنسق الاكتساب ويتيح تقدمه، هل يتحدد اجتماعيا أم معرفيا أم لسانيا؟ أم تتداخل فيه المحددات؟

يندرج عملنا في هذا الإطار، حيث حرصنا فيه على معالجة الاكتساب اللغوي وفق مقارنة لسانية وظيفية، معتمدين منهجية استقرائية في بسط اهم النظريات التي قاربت موضوع الاكتساب ، قمنا بدءا بعرض النظريات التي اعتمدت المدخل الأحادي ، وهي صنفان أولاها نظريات تبنت المدخل المعرفي، حيث ارتأى بياجي ان البنيات المعرفية تسبق ظهور اللغة، وثانيهما تلك التي اعتمدت المدخل اللساني، فلقد أسس تشومسكي لنموذج جديد في دراسة اللغة من خلال الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين بدل سلوكهم الفعلي كما فعل سكينز و باقي السلوكيين. انتقلنا بعد ذلك إلى التعريف ببعض النظريات التي وفقت بين التيارات المتباينة، واعتمدت

مداخل الاكتساب المتعددة عبر التفاعل بين المعرفي واللغوي من جهة، أو الاجتماعي واللغوي من جهة أخرى. قدمنا بعده اقتراحنا مقارنة لسانية للاكتساب اللغوي استنادا على مبادئ وإليات نموذج التبادل اللغوي الأوسع (هنخفلد وماكنزي، 2008) و النموذج المعدل (البلقاسمي 2017، 2019) ومكونه اللغوي نحو الخطاب الوظيفي، عرّفنا مفهوم القدرة التواصلية التي استبدل بها اللسانيون الوظيفيون مفهوم القدرة اللغوية عند تشومسكي (1970، 1959)، ثم حددنا مكونات نموذج التبادل اللغوي الأوسع، وأحصينا طبقاته، ووظفناه بعد ذلك في وصف مراحل الاكتساب اللغوي و تفسيرها انطلاقا من مرحلة النمو الصوتي وصولا إلى إنتاج الملفوظات الثنائية، ولقد وقفنا على تحقيق النموذج لدرجة عالية من الواقعية النفسية والواقعية العصبية من خلال توافقه مع نتائج الأبحاث النفسية و العصبية في موضوع الاكتساب اللغوي، وأيضا شموليته من خلال قدرته على التمثيل للأنساق التواصلية ما قبل اللغوية ثم اللغوية .

2. مداخل الاكتساب اللغوي الأحادية:

1.2.1. المدخل المعرفي:

تجمع النظريات التي تتبنى المدخل المعرفي أثناء الاكتساب على اعتبار المعرفة التصورية ضرورية حتى يتمكن الطفل من فهم الملفوظات ويؤسس لعلاقة الشكل بالمعنى، ولقد افترض بياجى Piaget أن اللغة تابعة للفكر، ذلك ان الطفل قبل ظهور اللغة يتمكن من إجراء التعميمات التي ستشكل مصنفاة الأولى: ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاستيعاب ،و يعدّه بياجى (1979) إدماجا للأشياء والوضعيات الجديدة داخل خطاطات داخلية ، و الخطاطة حسب بياجى مفاهيم عملية ناتجة عن التعميم، و تظهر الوظيفة الرمزية نتيجة النمو النفسي للفرد و الذي سيبيح له اكتساب اللغة¹. لقد ركّز بياجى على الوظيفة الرمزية للغة، واعتبرها أداة منطقية أي وسيلة للتمثيل، وأهمل أنها وسيلة للتبادل مع المحيط، غير أن الأبحاث حول المظاهر التداولية للغة قد أظهرت أن البكاء والضحك والإيماءات والحركات والتصويت تجعل من الطفل منذ الشهور الأولى كائننا يتواصل مع الآخرين.

2.2. المدخل اللغوي

1.2.2. تشومسكي وعدة الاكتساب اللغوي:

دعا سكينر Skinner (1957) إلى تطبيق الفرضية السلوكية على الاكتساب اللغوي ، بحيث يتم الاكتساب من خلال التثبيت القائم على المحاولات الصحيحة و الخاطئة، إلا ان تشومسكي Chomsky (1959) رفض اعتبار اللغة نتاج نكاء حسي حركي ، فميزها عن مجالات المعرفة الأخرى ، وافترض امتلاك الطفل لعدة فطرية خاصة بالاكتساب اللغوي، تتشكل من نحو كلي وعدد من البارامترات التي ينبغي أن يجدها الطفل

¹ Moreau, Marie-Louise, and Marc Richelle. *L'acquisition du langage*. Vol. 108. Editions Mardaga, 1997: 173

بنفسه، وتساهم التجربة في بناء النحو الخاص من خلال تثبيت هذه البارامترات، و يمثل النحو الناشئ عن هذا التثبيت نحواً نواة، لا يمثل أية تجربة أو معرفة لغوية، ولا يرسم اللغة بطريقة مباشرة، وإنما يفعل ذلك بالاشتراك مع أنساق تصويرية أخرى، إن النحو النواة حسب تشومسكي هو ما تنميه الملكة اللغوية كمكون للحالة القارة في ظروف تجريبية تتعد عن ظروف الحياة العادية و بالخصوص ظروف تجانس التجربة اللسانية¹.

ومما يدعم هذا الافتراض ما لاحظته الباحثون من بدء الاكتساب بشكل متماثل عند كل أطفال العالم، كما تحيل كلماتهم الأولى وتراكيبهم على معاني جد متقاربة، هذا فضلاً عن توفر كل اللغات على أدوات للتعبير عن مفهوم الفاعلية والموضعية والملكية والنتيجة و الوجود²، ويقود رفض القدرة الى افتراض نظري آخر هو أن كل نمط من أنماط السلوك الكلامي يستعمل فيه جسم معرفي مختلف، وهذا موقف ضعيف من الناحية المنهجية³.

تبنى فرضية تشومسكي عدد من الباحثين منهم عالم النفس فودور Fodor، مؤسس نظرية قابلية الذهن وعالم الأحياء لينبرج Lenneberg وعالم النفس بينكر Pinker (1994)، وعرف pinker الملكة اللغوية بأنها موقف معقد ومتخصص يتطور تلقائياً عند الطفل بسبب وجود شبكات متخصصة داخل الدماغ البشري، تحدث Pinker وهو يعيد أطروحة Fodor عن وجود لغة التفكير تختلف جدا عن اللغة التي نستعملها للتواصل⁴، وحسب هذه الفرضية فنحن لا نفكر بأية لغة من اللغات الطبيعية، وإنما بلغة داخلية مجردة و كلية، و تأخذ شكل لغة نوعية فقط أثناء التواصل، فانتصر بذلك لدور اللغة في التواصل بدل تنظيم الفكر كما افترض تشومسكي، وأكد على أن الخطاب الداخلي لدى الطفل أقل أهمية بكثير من التواصل مع الآخرين. وأما عالم الأعصاب دوهانين Deheane⁵ فلقد اعتبر أن القدرات الولادية التي تمكن الطفل من الاكتساب يتم تخصيصها في السنوات الأولى من حياة الطفل، غير أن عدداً من التجارب التي تم فيها نقل أنسجة دماغية من القشرة البصرية عند صغار الفئران، قد أظهرت أن الأنسجة المنقولة طورت تمثيلات خاصة بالمنطقة المستقبلية و ليس المنطقة الأصل ولقد قادت هذه الأبحاث وغيرها علماء الأحياء العصبية النمائية إلى استنتاج كون التمايز القشري و التخصص الوظيفي ناتجين عن معطيات الدخل مع

¹ الفاسي الفهري، عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، (2000). دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. الجزء: 1، الصفحة: 44

² Jisa, Harriet. *L'acquisition du langage. Ce que l'enfant nous apprend sur l'homme*. No. 40. Association Terrain, 2003:2

³ Bresnan, Joan, et al. "Cross-serial dependencies in Dutch." *The formal complexity of natural language*. Springer, Dordrecht, 1982.

⁴ Pinker, Steven. "The Language Instinct: How the Mind Creates." *Language*. New York : Harper Collins (1994).

⁵ Dehaene-Lambertz, G. "Bases cérébrales de l'acquisition du langage : apport de la neuro-imagerie." *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence* 52.7 (2004) : 457.

اعتبار القيود البنوية و الحاسوبية ،ويختلف هذا التصور بشكل واضح عن فكرة تنظيم الدماغ المحدد سلفا حسب فحوى خاص بمجال من مجالات المعرفة .

وبرغم ذلك لا تزال أطروحة تشومسكي تحظى بالكثير من المناصرين، فهذا كرومر Cromer، يعتبر أن عددا من القواعد الشكلية (مثل، تركيب الكلمات واختيار الصرفات الملائمة) يتم اكتسابها مستقلة عن الدلالات المتداولة، ذلك ان هذا الصنف من الآليات يعود إلى القدرة اللغوية عند الطفل ولا يمكن تفسيرها في إطار نظرية معرفية، غير أن سلوبين Slobin ارتأى أن تطوير المظاهر الدلالية الشكلية لا يمكن أن يتحقق دون مكتسبات معرفية مسبقة، ولقد ميّز نمو مقاصد التدليل الناتجة عن النمو المعرفي العام، عن نمو الوسائل اللغوية التي تتيح تداول هذه المقاصد، و يقوم الطفل بفحص المعطيات اللسانية بغرض الولوج إلى هذه الوسائل ، بحيث يتوسل بما يملكه من استراتيجيات معرفية إدراكية عامة، و ما تسمح به الذاكرة الإجرائية التي تفرض حدودا على المعالجة. وتقوم بعض أشكال الاكتساب اللغوي على تنظيم مسبق على مستوى الاستقبال والمعرفة حسب ماكنيل Mc Neil (1970)، ولقد مثل لذلك بالعلاقات الطوبوغرافية التي تدل عليها حروف الجر (مثل، في، على) باعتبارها موجودة في الفضاء الإدراكي الحركي قبل ان توجد في اللغة، كذلك التمييز بين المفرد والمثنى والجمع فهو يوجد في عالم الأشياء قبل أن يترجم في الصرف¹.

2.2.2. نظريات التمهيد Bootstrapping والاكتساب اللغوي:

تقوم هذه النظريات على اعتبار نمط من المعلومة اللسانية (التركيبية أو الدلالية أو التطريزية) مدخلا للولوج إلى المستويات الأخرى من التنظيم اللغوي، أي تمهيدا لبداية الاكتساب، تنص النماذج القائمة على هذه المقاربة على أن المتعلم يسخر قدرات حسية للمدخل اللغوي وتأويلات دلالية لسياقه، ويطرح هذا النمط من النماذج أسئلة هامة حول طبيعة وامتداد المدخل اللغوي اللازم للتمكن من اللغة.

1.2.2.2. التمهيد التركيبي:

تكمن الفكرة الأساس في التمهيد التركيبي في كون المعلومة المأخوذة من كلمة معروفة المرتبطة بموقعها البنوي بالنسبة إلى فعل غير معروف تزود الطفل بمؤشرات حول دلالة الفعل، غير أن هذه المقاربات المستندة على التركيب لا يمكن ان تشكل نظرية خاصة بالدلالة الدقيقة للكلمات كما أشار إلى ذلك بلوم Bloom(1994)، ولكنها تحدّد صنف مقولتهم².

¹ Moreau, Marie-Louise, and Marc Richelle. *L'acquisition du langage*. Vol. 108. Editions Mardaga, 1997: 184

² Kail, Michèle. "Chapitre 1. Perspectives sur l'acquisition du langage." *L'acquisition du langage*. Vol. I. Presses Universitaires de France, 2000 : 9.

2.2.2.2. التمهيد الدلالي:

يقوم التمهيد الدلالي على فرضية قيام الأطفال - أثناء عملية اكتساب اللغة- باستعمال معلومات محيطه بغرض فهم دلالات بعض الكلمات و عدد من البنيات، ذلك أن الكلمة التي تصف فعلا مرشحة أن تكون عملا والتي تصف شيئا أولى أن تكون اسما¹، ويقرّ التمهيد الدلالي أن الطفل يتعرف على معاني الكلمات دونما معرفة للقواعد النحوية، و يكفي السياق و والدلالة الخاصة بكل كلمة ليتمكن الطفل من بناء تمثيل دلالي للجملة التي تتضمنها، اذن يسمح بينكر (Pinker 1987) بتدخل القدرات غير اللسانية الإدراكية والمعرفية، والتي تساهم في تنفيذ البدء الدلالي، اعتمادا على بعض الإجراءات مثل التنعيم النوعي والسياق الخطابي .

3.2.2.2. التمهيد التطريزي

تقوم فرضية التمهيد التطريزي على كون الرضيع يستعمل أثناء الاكتساب الخصائص التطريزية للغة محيطه، و يوظفها كعلامات لتحديد باقي خصائص النحو، وتوفر الوحدات التطريزية التي يحددها سمعا أثناء تدفق الكلام مؤشرات إدراكية هامة، يتمكن الرضيع من خلالها من الاكتشاف البدئي للمركبات، ولا يدّعي أصحاب التمهيد التطريزي استبدال مقترحات غيرهم والمتعلقة باكتساب التركيب، كما لا يُستبعد تدخل التمهيد التطريزي بالتنسيق مع أشكال التمهيد الأخرى أثناء عملية الاكتساب، ويبدو جليا انه لا يمكن لمقترح أن يفسر وحده مسألة الاكتساب اللغوي.

لاقت هذه النظريات انتقادات متعددة، حيث قللت الأعمال المنجزة في إطار النحو الكلي من شأن الآليات النفسية المتدخلة أثناء الاكتساب، بغرض التركيز فقط على البنيات اللغوية المكتسبة استنادا على معارف فطرية، ويُستدعى النضج البيولوجي ليُفسّر عدم انبثاق عدد من البنيات التركيبية المنتظرة في الوقت المنتظر.

3. مداخل الاكتساب التفاعلية

1.3. التفاعل بين المعرفي واللغوي:

قام برونر Bruner بالتوفيق بين الأطروحتين أسبقية المعرفي وأسبقية اللغوي، فحين تبدأ التمثيلات الرمزية يصعب الفصل بين النمو المعرفي والنمو اللغوي، وبالتالي يصعب إبراز النمو الفردي مستقلا عن عوامل التأثير التي يمارسها الوسط الثقافي، ولا يعزل هذا الصنف من النظريات الاكتساب اللغوي عن باقي أصناف النمو المعرفي، ولقد أقر Oléron أنه لا توجد قواعد عامة تظهرها المقولة أو بنية خاصة، نحصلها إذا افترضنا أسبقية المعرفي او اللغوي².

دعم جونستون Johnston (1985) فرضيتان حول علاقة اللغة بالمعرفة، تعتبر الفرضية الأولى أن النمو التصوري يشكل مكسبا مسبقا للنمو الدلالي، فإذا لم يفهم الطفل علاقة القرب مثلا فلن يكون قادرا على اكتساب

¹ Jisa, Harriet. *L'acquisition du langage. Ce que l'enfant nous apprend sur l'homme*. No. 40. Association Terrain, 2003

² Moreau, Marie-Louise, and Marc Richelle. *L'acquisition du langage*. Vol. 108. Editions Mardaga, 1997: 194

معنى "قريب من"، وأما الفرضية الثانية فتتص على أن البنيات اللسانية (خاصة التركيبية منها) تتطلب بنيات معرفية مجردة، ولقد قدم جونستون مجموعة من الوقائع الموافقة لهاتين الفرضيتين وتحديدا في مجال المعرفة المكانية.

وقادت مجموعة من الأعمال التجريبية كلا من كوبنيك Gopnik و ميلزوف Milzof (1992) إلى فكرة العلاقة الدينامية بين اللغة و المعرفة، ولقد بين الباحثان ان القدرة على التصنيف الشامل تحدث مباشرة قبل الانفجار المعجمي، ويقترح الباحثان أن ارتباط القدرة على التصنيف بالانفجار المعجمي يرجع إلى اكتشاف الأطفال أن أشياء العالم تنتمي إلى أصناف، وأن لهذه الأصناف أسماء، ولقد قام كوبنيك و معاونوه بأعمال أخرى أظهرت أن اللغة-وخاصة المعجم-تعيد بناء المعرفة وتؤثر فيها.

2.3. التفاعل بين الاجتماعي واللغوي:

يجد التصور التفاعلي للاكتساب اللغوي دعمه داخل نظرية أفعال الكلام عند أوستين Austin (1962) وسورل Searle (1969)، وذلك للتأكيد على الاستعمال الوظيفي للغة، ولقد اعتبر نيلسون (1985) أن التفاعل اللغوي أساس شكل اللغة وفحواها وأصل ومسار تطور الاكتساب اللغوي، بل رأى برونر Bruner (1985) أن بنية التفاعل الاجتماعي تسقط مباشرة على البنية اللسانية، وإن عدل لاحقا عن ذلك.

وخلافا لما طرحه تشومسكي (1965) الذي اعتبر اللغة التي يستعملها الكبار في تفاعلهم مع الصغار متدهورة ومعادة (فيما بين 18 إلى 36 شهرا)، فإن الأبحاث المنجزة في الأعوام الثلاثين الأخيرة قد بينت أن اللغة التي يخاطب بها الكبار الصغار مختلفة في كل مستويات التحليل اللساني عن تلك المستعملة في التواصل بين الكبار، وهي تتمظهر كما أصر على ذلك Bruner (1985) وفق نسقية تتيح للطفل استتصار لغته معجما وقواعدا نحوية، و لقد أظهرت الأبحاث حول العوامل التطريزية و الموازية للغة ان بعض التعديلات تسهل تحليل الأطفال ما بين 2 إلى 5 سنوات للفحوى اللساني للخطاب فلا تؤشر الوقفات و التنغيم الصاعد في نهاية الجمل على إتمام الوحدة اللغوية، كما تثير المبالغة في نبر بعض عناصر الخطاب انتباه الأطفال على الوحدة الإعلامية للملفوظات، وتلعب بعض خصائص اللغة المعدلة أدوارا تبادلية من خلال تأمين قواعد الحوار بين الراشد و الطفل والحفاظ على انتباهه، حيث يشير النبر الصاعد في نهاية الجملة لدعوة الطفل إلى اخذ دوره في الكلام، ويشكل تكرار التبادل الاجتماعي ركيزة الاكتساب الأولية، سواء تعلق الأمر بصيغ أو إجراءات روتينية تتيح الولوج إلى القواعد النحوية ويبقى المحيط الاجتماعي المعدل للإنتاجات البدئية في اللغة الهدف.

لا تعتبر هذه المقاربة الطفل مزودا بمعرفة لسانية أولية تعينه على الاكتساب اللغوي، ولا تعتبر الوصف السابق كليا، فلقد أظهرت الأبحاث ان المجتمعات تختلف فيما يمكن ان نعده نمطا جيدا للتواصل الملائم، وبذلك يعد التبادل بين الراشد والطفل وسيلة للتنشئة الاجتماعية.

4. الاكتساب اللغوي مقارنة لسانية وظيفية:

1.4. الملكة التواصلية في اللسانيات الوظيفية

أجمع الباحثون على وجود استعداد فطري بيولوجي للاكتساب اللغوي، ذلك أن الأبحاث المنجزة في علوم الأعصاب قد أظهرت وجود بنيات دماغية خاصة باللغة عند الرضع منذ الشهور الأولى من حياتهم¹، غير أنهم اختلفوا في وجود استعداد فطري تمثيلي وفي طبيعة هذا التمثيل الذهني الذي يتأسس عليه اكتساب لغة المحيط، إذ يرى تشومسكي انه يتشكل من تمثيلات ذات طبيعة لسانية، في حين يرى بياجي أنه مخططات معرفية ناتجة عن التعميم والاستيعاب، والواقع انه لا يهمنا إن كان جهاز الاكتساب هذا أساسه لغوي أو معرفي أو يسبقه النضج الإدراكي، مادامنا نقر بتفاعل هذه المكونات داخل نموذج أوسع للتبادل اللغوي، لقد صدق اورتوبيز Heurteubise (2009) حين أعلن أن العلاقات أحق بالدراسة خصوصاً في مجالات يكون بيان انفصالها أو أسبقية بعضها دونها جدوى.

وتنشأ كل لغة طبيعية عبر التواصل وتقاسم المعلومة، إذ أظهرت الدراسات السلوكية للتبادل اللغوي أن تأصيل اللغة في إطارها التداولي قائم على الفعل وردّه وتبادلده، بحيث تكتسب المعلومات الدلالية والتداولية قبل المعلومات النحوية الصرف، ويعد اكتساب اللغة جزءاً من التنشئة الاجتماعية للطفل داخل مجتمعه، حيث أظهرت الأعمال التي تم تنفيذها من منظور عابر للثقافات الاختلافات المهمة بين المجتمعات والتي أثبتت ان الطفل وهو يتعلم لغته يمتلك ثقافته أيضاً².

اجتهد الباحثون في تحديد مكونات القدرة التواصلية التي تمكن الطفل من اكتساب اللغة و التواصل بها، وأجمع أكثرهم على أنها تتجاوز القدرة النحوية إلى قدرات أخرى منها ما يتعلق بمعرفة قواعد الاستعمال ذات الطابع الاجتماعي الثقافي، ومنها ما يتعلق بمعرفة قواعد الربط بين اللغة و المقاصد التداولية المختلفة، و منها ما يتعلق بمعرفة استراتيجيات التواصل اللغوي و غير اللغوي، ويرى البوشيخي (2005) أن أهم ما قُدّم من تحديد للقدرة التواصلية في إطار مشروع علمي متكامل يستهدف إقامة نموذج تمثيلي لمستعملي اللغة الطبيعية هو التحديد الذي قدمه سيمون ديك Dik في مقترحه ديك (1997)³.

¹ Dehaene-Lambertz, G. "Bases cérébrales de l'acquisition du langage : apport de la neuro-imagerie." *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence* 52.7 (2004) :257

² Jisa, Harriet. *L'acquisition du langage. Ce que l'enfant nous apprend sur l'homme*. No. 40. Association Terrain, 2003 :5

³ البوشيخي، عز الدين. نظرية النحو الوظيفي وتعلم اللغات في: أعمال ندوة تعليم اللغات، نظريات ومناهج وتطبيقات، منشورات جامعة مولاي

إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية -مكناس-سلسلة الندوات، (15)، (2005):125

2.4. نموذج التبادل اللغوي ونحو الخطاب الوظيفي

1.2.4. نموذج التبادل اللغوي، مكوناته

يهدف نموذج التبادل اللغوي لهنخفلد. Hengeveld و ماكنزي Mackenzie (2008) إلى تمثيل القدرة التواصلية لمستعملي اللغة الطبيعية، وهو يشكل تعديلاً واضحاً لنموذج مستعملي اللغة الطبيعية المقترح في Dik (1997)¹، تم فيه استبدال القالبية بالمكونية ودمج المكونين المنطقي والشعري (المتوكل، 1995) أو التخيلي (البوشيخي، 1998) داخل المكون المفهومي والمكونين الإدراكي والاجتماعي في المكون السياقي وإضافة المكون الأدائي، ويتسم هذا النموذج بسلميته الصارمة من أعلى إلى أسفل بدءاً من بنية التخاطب إلى الأداء اللغوي، كما كانت طبيعة هذا الأداء، استناداً على فرضية (Levelt، 1989) القائمة على اعتبار إنتاج اللغة عملية نازلة، وتنتمي فرضية (Levelt، 1989) إلى تيار النماذج النفسية الذي ساد ما بين 1980 و1990، حينئذ كان تمثيل فهم اللغة منفصلاً عن إنتاجها وعن اكتسابها.

تطورت هذه النماذج ونحت إلى توحيد البحث في هذه الأنشطة المعرفية، حرصنا على مسابرة هذا التوجه الجديد في التتظير من خلال إقدار النموذج على التمثيل لفهم اللغة أيضاً استناداً على نموذج Dell (1986) لإنتاج الكلام والنموذج المزدوج المسار Dell و Chang (2014)، ولقد استوحينا من نموذج Dell (1986) الانتقال الاتصالي التفاعلي بين مستويات نحو الخطاب الوظيفي (بدل التسلسلي الصارم الوارد في نموذج Hengeveld و Mackenzie (2008))، فقمنا بدمج التبادل الرجعي بين مستوى معالجة (م + 1) ومستوى معالجة (م)، مما مكن النموذج من التوافق مع نتائج الأبحاث المنجزة في إطار علم النفس اللغوي.

و أما نموذج Dell و Chang (2014) فتوَّطره نظرية السلسلة P- أو سلسلة معالجة اللغة، وهي مجموعة من المفاهيم المتصلة: المعالجة Processing و التوقع Prediction والإنتاج Production والإعداد Priming و التعلم الضمني implicit learning، مبدؤها اعتبار فعل التوقع أساس اكتساب اللغة و ضبط المعرفة اللغوية، ويحصل التوقع عندما تعالج اللغة بطريقة تدريجية داخل سياق إنتاجها².

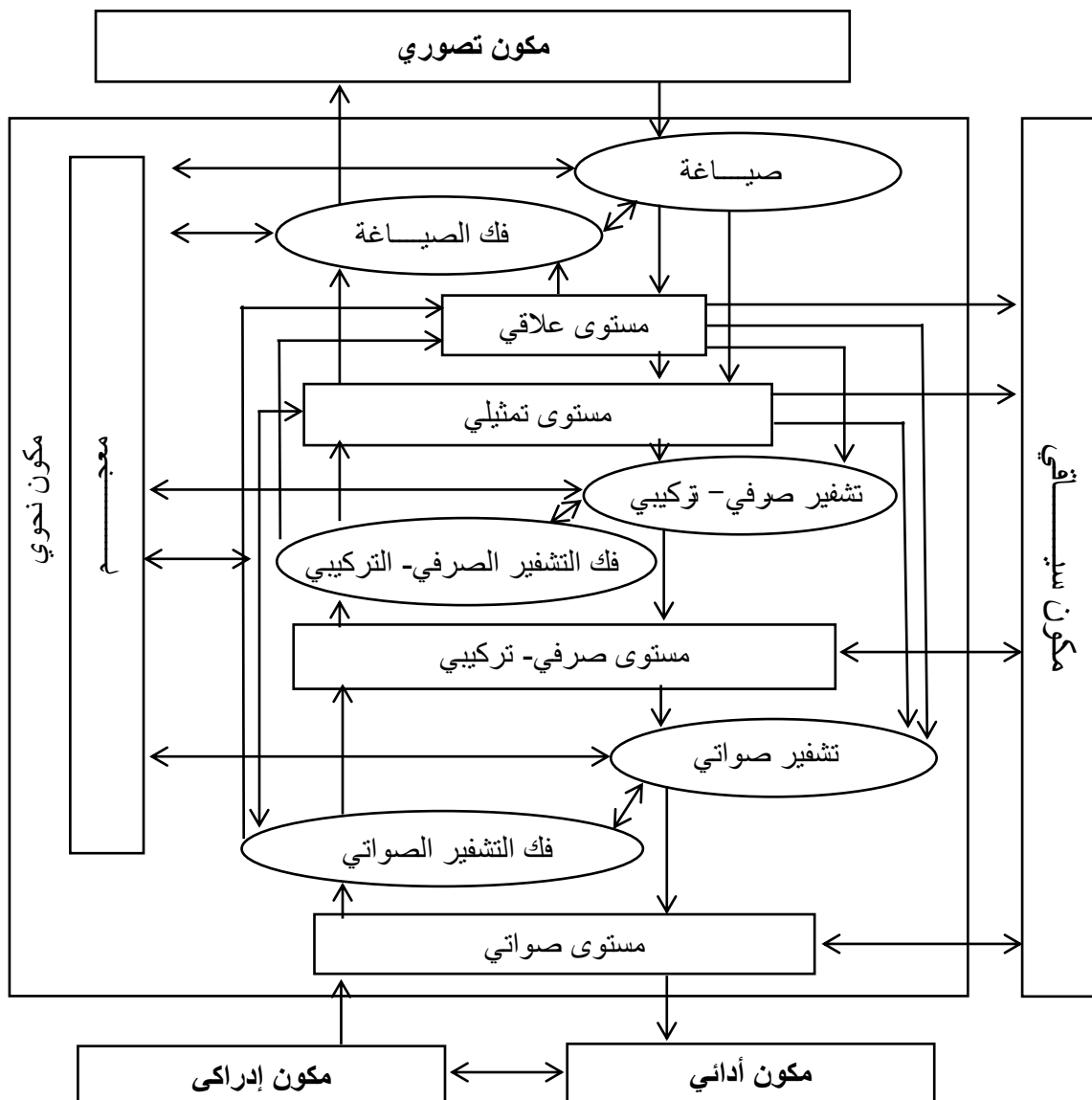
يتشكل نموذج Dell و Chang (2014) الاتصالي من مسارين: مسار التسلسل ومسار المعنى، يساعد مسار التسلسل على التنبؤ نحوياً بالكلمات المناسبة لكل موضع في الجملة، ويعمل مسار المعنى على التأكد من مناسبة الكلمات المنتقاة لقصدية الخطاب، يترابط المساران لدعم المعالجة، ويحاول هذا النموذج توقع الكلمة اللاحقة انطلاقاً من السابقة، ثم يقارن الكلمة المتوقعة مع الكلمة اللاحقة الحقيقية، يوظف -بعد ذلك- خطأ التمثل الناتج في تغيير التمثيلات الداخلية للنموذج، ولقد استلهمنا منه الربط بين المستويات أثناء الإنتاج والفهم، و تقويم نتيجة اشتغال المستويات اللاحقة إذا خالفت المعلومات اللاحقة الواردة من المستويات السابقة من داخل المكون اللغوي أو من خارجه.

¹ Hengeveld, Kees, and J. Lachlan Mackenzie. "Functional discourse grammar." (2010): 156

² البلاسمي، بشرى، نحو الخطاب الوظيفي: تطور النمذجة. اللسانيات الوظيفية: النظرية والنماذج والمقاربات، (2020): 410.

ويتألف نموذج التفاعل اللغوي المعدل من خمسة مكونات: مكون مركزي وهو المكون النحوي وأربعة مكونات غير نحوية وهي المكون التصوري (المفهومي) والمكون الاجتماعي و المكون الإدراكي والمكون الأدائي (أداء نطقي، أداء خطي، أداء إشاري..)¹، وعند إنتاج الخطاب تتفاعل هذه المكونات أثناء إواليتي الصياغة وفك الصياغة والتشفير وفك التشفير، إذ تضطلع إواليته الصياغة بصوغ القصد من الخطاب وفحوه أي ما يشكل تمثيلاً تداولياً ودلالياً مقبولاً داخل لغة ما، بينما تنقل إواليته التشفير المستويين التحتيين العلاقي والتمثيلي إلى مستوى بنوي عن طريق فئتين من القواعد: قواعد صرفية-تركيبية وقواعد صوتية ، و أما عند فهم الخطاب فتستقبل المعلومة اللغوية في المكون الإدراكي تنتقل بعده إلى المكون اللغوي، فتخضع لعمليتي فك التشفير وفك الصياغة، وتستخرج منها الوظائف الدلالية والتداولية استناداً على نتائج المستويين الصوتي والصرفي-التركيبية وبمساعدة المكون الاجتماعي و المعجم وصولاً إلى المكون المفهومي حيث يستنتج المقصد التواصلية.

تمثل الترسيم 1. نموذج التبادل الأوسع المعدل (البلقاسمي، 2018) .



¹ البلقاسمي، بشرى، نحو الخطاب الوظيفي: تطور النمذجة. اللسانيات الوظيفية: النظرية والنماذج والمقاربات، (2020):411

1.1.2.4. المكون التصوري

ترصد داخل المكون التصوري كل المعارف المتوافرة لدى منتج الخطاب بما في ذلك معارفه اللغوية الصرف ومعارفه الخطابية ومعارفه الغير اللغوية، فيشكل بذلك "القوة الدافعة" للمكون النحوي.

2.1.2.4. المكون اللغوي

يتشكل من أربعة مستويات: المستويين العلاقي والتمثيلي ويخضعان لإواليتي الصياغة وفك الصياغة، والمستويين الصرفي-التركيبى والصواتي وفيهما يتمّ التشفير وفك التشفير.

3.1.2.4. المكون الأدائي

يؤدّ المكون الأدائي التعابير الإصغائية والكتابية والإشارية استناداً إلى المعلومات الواردة من المكون النحوي فوظيفته إذن هي ترجمة المعلومة النحوية الواردة من المكون الصواتي على شكل قيم حاسوبية إلى شكل إصغائي قياسي.

4.1.2.4. المكون الإدراكي

يستقبل المكون الإدراكي المعلومة اللغوية الواردة فينقلها إلى المكون اللغوي، حيث تتم معالجتها بإخضاعها لإواليتي فكّ التشفير وفكّ الصياغة.

5.1.2.4. المكون السياقي

يضطلع هذا المكون برصد وتخزين المعلومات المنتقاة من السياق في بعديه المقالي (مثل محتوى وشكل الخطاب السابق) والمقامي (مثل المدركة الحقيقية أثناء الحدث اللغوي والعلاقات الاجتماعية بين المشاركين).

6.1.2.4. المكون التخيلي

يستلزم المكون الشعري (المتوكل، 1995) أو التخيلي (البوشيخي، 1998) إثبات وجود مناطق دماغية مسؤولة عن التخيل او نفي هذا الوجود، غير أن نتائج الأبحاث العصبية أن المناطق الدماغية المسؤولة عن التخيل هي فضاء العمل بالدماغ، حيث تشكل شبكة من عدة مناطق متصلة، ولقد أظهر التصوير الدماغي تدخل 11 منطقة دماغية في العملية الذهنية المطلوب من المتطوعين إنجازها، (Schlegel وآخرون، 2013)، وبالتالي لا تتوفر البنيات الدماغية -التي أظهرت الاختبارات اضطلاعها بالتخيل -على خصائص القالب كما حددها Fodor (1986). لكن استبدال "قالب" ب "مكون" بما يتسم به هذا المفهوم من مرونة وانفتاح يضعنا أمام ثلاث خيارات : إما افتراض وجود مكون تخيلي يتوزع على عدة مناطق دماغية و"يمكن مستعمل اللغة الطبيعية من اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقيق أهداف تواصلية محددة"¹، أو نفي افتراض وجود هذا المكون، وأن رصد العلاقة المجازية يتم عبر تفاعل

¹ البوشيخي، عزالدين. التواصل اللغوي مقارنة لسانية وظيفية (نموذج مستعملي اللغات الطبيعية) بيروت، مكتبة لبنان ناشرون. (2012):92

المكون الإدراكي والمكون النحوي والمكون المفهومي أثناء الفهم وتفاعل المكون المفهومي والمكون النحوي والمكون الإدراكي والمكون الأدائي أثناء الإنتاج، وإما إدراجه كما ارتأى Hengeveld و Mackenzie (2008) داخل المكون المفهومي باعتباره متضمنا لكل المعلومات المتوفرة لدى منتج الخطاب من معارف لغوية ومعارف خطابية ومعارف غير لغوية متعلقة بالعالم الواقعي والمتخيل¹.

2.2.4. تفاعل مستويات نحو الخطاب الوظيفي المعدل أثناء الاكتساب اللغوي

يقوم الطفل أثناء عملية الاكتساب بعمل معقد لتقطيع الإشارة الصوتية المستمرة ثم استخراج وحداتها المهمة وإسناد معنى لهذه الوحدات، و تلجأ كل لغة إلى تشفير المعلومة من خلال استغلال التنغيم و ترتيب الوحدات وكذلك قولبة المعلومة داخل الصرف، ومن ثمة سيجد الطفل نفسه مجبرا على إيجاد الوسائل المتواضع عليها لتشفير المعلومة استنادا على اللغة المدركة من محيطه، سنقوم فيما يلي بتتبع مراحل إنتاج اللغة عند الطفل معتمدين في ذلك على مبادئ وإليات نموذج التبادل الأوسع ومكونه النحوي نحو الخطاب الوظيفي، مستندين كذلك على نتائج الأبحاث النفسية والنفسية العصبية، ذلك أن تفسير الاكتساب يستلزم تتبع مؤشرات إدراك اللغة وإنتاجها منذ الولادة بل قبلها، فلقد أظهرت الأبحاث النفسية و النفسية العصبية إدراك الرضع للغتهم الأم قبل إصدارهم الكلمات الأولى، إذ يتمكن الرضيع ذو الشهرين من تمييز جمل لغته الأم موظفا المعلومات التنغيمية والإيقاعية².

1.2.2.4. النمو الصوتي:

يعبر الرضيع في الأسابيع الستة الأولى من حياته عبر الصراخ و البكاء ثم الابتسام لاحقا بعد عشرة أسابيع وفق أبحاث هارلي(2005)، ولا يتحقق النمو الصوتي إلا بعد تمكن الطفل من عمليتين ذهنييتين هما: التسوية والمقولة، فأما التسوية فهي القدرة على معرفة الوحدة الصوتية رغم الاختلافات السمعية بين النماذج المتباينة، وأما المقولة فهو تبيّن التمايز بين الصوتيات المختلفة فقط وليس التغيرات السمعية لنفس الصوتية، و يتم تحديد الصوتيات عبر تمييز الحدود بين الأبواب الصوتياتية، و ما بين الشهرين الثالث و الرابع يبدأ التبادل بين الرضيع وأمه، بحيث يتناوب معها في أخذ دوره في الكلام، فهو يُصدر أصواتا يصمت بعدها لتجاوب معه في وضعية تشبه الحوار تماما، ونشير إلى ان الطفل يتعرف على اسمه في هذه المرحلة مما يؤشر على نضج في المكونين الإدراكي و السياقي المنتميين لنموذج التبادل اللغوي الأوسع، تأتي بعد ذلك مرحلة المناغاة

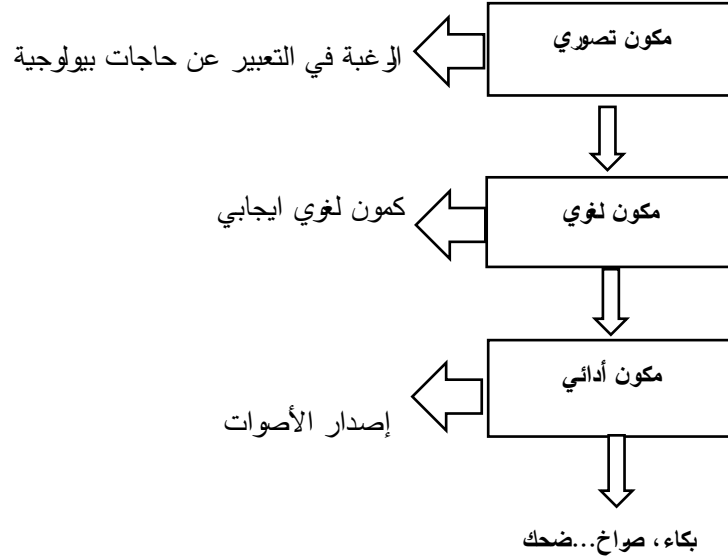
1 البلقاسمي، بشرى. نحو الخطاب الوظيفي: نموذج متعدد المقاربات. في قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية و الأدبية و الجمالية: التحولات

والرهانات، الجزء الأول: قضايا لسانية معاصرة، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية. (2018): 333

² Dehaene-Lambertz, G. "Bases cérébrales de l'acquisition du langage : apport de la neuro-imagerie." *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence* 52.7 (2004) :255

في الشهر الخامس، و لقد أثبتت الأبحاث أن الطفل يناغي بلغته الأم، و يدل على تمكّنه في هذه المرحلة من عمليتي التسوية والمقولة الذهنيّتين.

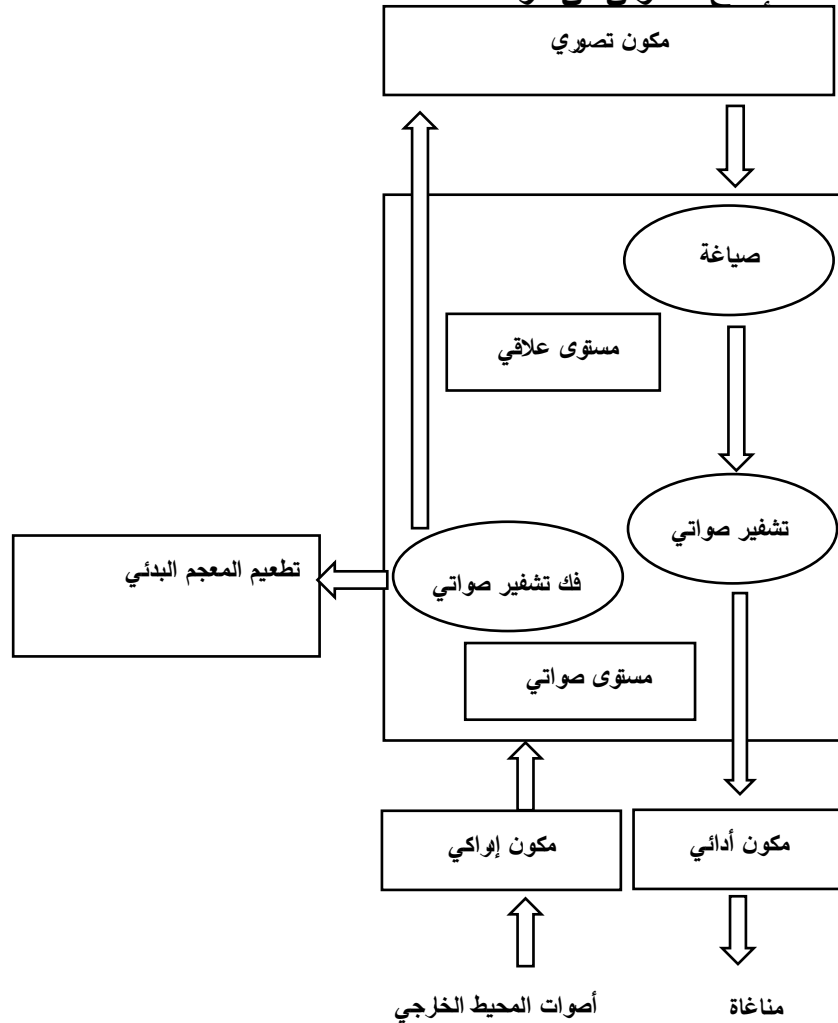
تمثل التريسة 2. للإنتاج الصوتي قبل المناغاة:



تنشأ في المكون المفهومي الرغبة التواصلية عند الرضيع، وتتمثل في التعبير عن حاجاته النفسية و البيولوجية (مثل، الإحساس بالوحدة، الرضاعة، النظافة، الألم)، يكون المكون اللغوي في هذه المرحلة في حالة كمون إيجابي فلقد رصدت الأبحاث في علوم الأعصاب نشاطا في المناطق الدماغية الخاصة باللغة عند الرضع قبل إصدارهم لأصواتهم الأولى¹.

¹ Dehaene-Lambertz, G. "Bases cérébrales de l'acquisition du langage : apport de la neuro-imagerie." *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence* 52.7 (2004) :258

وتمثل الترسيم 3. للإنتاج الصوتي في مرحلة المناغاة:



يستقبل الرضيع لغة المحيط في المستوى الإدراكي، لتنتقل بعد ذلك إلى المستوى الصوتي من المكون اللغوي، حيث تبدأ عمليات فك التشفير البدئية من خلال تقطيع الإشارة الصوتية عبر عمليتي التسوية والمقولة، ويتم تزويد المعجم الذهني بنتائج فك التشفير هذا، وتعد هذه بدايات تشكل المعجم و التي ستطعم لاحقاً بربط الكلمات بالدلالات، تنتقل بعد ذلك إلى المستوى العلاقي و تفك تشفيرها دون تحديد مقاصد محددة سوى وجود مثير خارجي ، يقوم المكون التصوري بتحديد رغبة في التعبير تنتقل نحو المستوى العلاقي ، و ينتظم المستوى العلاقي وفق طبقتين كبيرتين: "النقطة الحوارية" و"الفعل الخطابي"، وتعتبر "النقطة الحوارية" (أو مداخلة أحد شريكي التبادل) أكبر وحدة للتبادل واردة داخل التحليل النحوي ، وأما الفعل الخطابي، فيشكل الوحدة الدنيا للخطاب، يتكون من قوة إنجازية (خير استفهام، أمر..) ومؤشري المتكلم والمخاطب وفحوى خطابي، ويتضمن الفحوى الخطابي فعل إحيالي وفعلا حمليا (أو أفعالا إحيالية وأفعالا حملية).

تحدد الوظيفة البلاغية التعبير دون فعل خطابي كما يظهر في (4):

(4) (نقطة 1 [فعل خطابي 1: Ø] [فعل خطابي 1] [تعبير]) [نقطة 1]

حيث، Ø تعني ان الفعل الخطابي فارغ مضمونيا، تعبير: وظيفة بلاغية

تمر بعد ذلك مباشرة إلى المستوى الصوتي، حيث تشق وتصدر في المكون الأدائي على شكل مناغاة توافق لغة المحيط كما في(5):

(5) (لفظ 1: [(مركب تنغيمي 1: Ø (مركب تنغيمي 1)](لفظ 1))

بحيث، لفظ: سلسلة صوتية، Ø المركب التنغيمي فارغ من أي مركب فونولوجي أو مفردة صوتية.

2.2.2.4. النمو الصوتي:

يقصد بالنمو الصوتي التمكن تدريجيا من الوحدات المقطعية المتقابلة التي تصلح لبناء معجميات اللغة ، ولقد أثبتت الأبحاث المعاصرة وجود استمرارية بين المناغاة وإنتاج الكلمات الأولى، وتجلي النمو الصوتي في المستوى الصوتي من المكون اللغوي لنموذج التبادل الأوسع من خلال التقدم في فك التشفير الصوتي ، إذ يتمكن الرضيع فيما بين 5 و6 أشهر إلى 10 أشهر من تقطيع الإشارة الصوتية إلى مقاطع من صنف "صامت صائت"/ب- / ؛ /- / وهي الوحدة الإيقاعية الاندماجية الدنيا للغات الطبيعية ، و يزود المستوى الصوتي المعجم البدئي بالمقاطع الكاملة الناتجة عن فك التشفير ، والتي سيتوسل بها الرضيع عند التعبير .

يتحدد قصد التعبير في المكون التصوري، تنتقل إلى المستوى العلاقي من المكون اللغوي، وتتحدد البنية العلاقية كما في (6): +

(6) (نقطة 2)[Ø] (فعل خطابي 2) (تعبير)](نقطة 2))

حيث، Ø تعني ان الفعل الخطابي فارغ مضمونيا، تعبير: وظيفة بلاغية

وتسوّغ لنا نتائج الأبحاث المعاصرة ان نسد للمناغاة المتقدمة للرضيع وظيفة بلاغية هي التعبير، إذ تتمايز الوظائف البلاغية حسب رونداً Rondal (2006)¹ منذ ظهور النماذج البدئية لتفاعل الطفل ذي العامين مع محيطه بل تظهر بداياته في مرحلة المناغاة²، وتكون المناغاة فيما بين 6 إلى 9/8 أشهر مضاعفة تقوم على تردد نفس الوحدة الصوتية في سلسلة ثلاث أو أربع /ب- ب- ب- /؛ /- ت- ت- ت- /؛ /ب- ب- ب- ب- /- /- /- ت- ت- ت- /- ، ثم تأتي بعدها المناغاة المتنوعة عبر تتابع وحدات صوتية مختلفة، ومن 9 إلى 15 - 18 شهرا تظهر ما قبل الكلمات إذ يؤول الطفل الشكل الصوتي (الدال) للتدليل بشكل ثابت ولو فترة من الزمن على كيان مرجعي ما فيحاول مثلا تقليد صوت محرك عربة للتدليل به . على نوع من العبارات.

تنتقل المعلومة من المستوى العلاقي إلى المستوى الصوتي، حيث يتم التزود أثناء التشفير بالمقاطع الكاملة المخزنة في المعجم البدئي ، ويتكفل المستوى الصوتي بكل مظاهر التعبير الصوري ، يستقبل المداخل من

¹ Rondal, Jean-Adolphe. *Expliquer l'acquisition du langage: caveats et perspectives*. Vol. 260. Editions Mardaga, 2006 :47

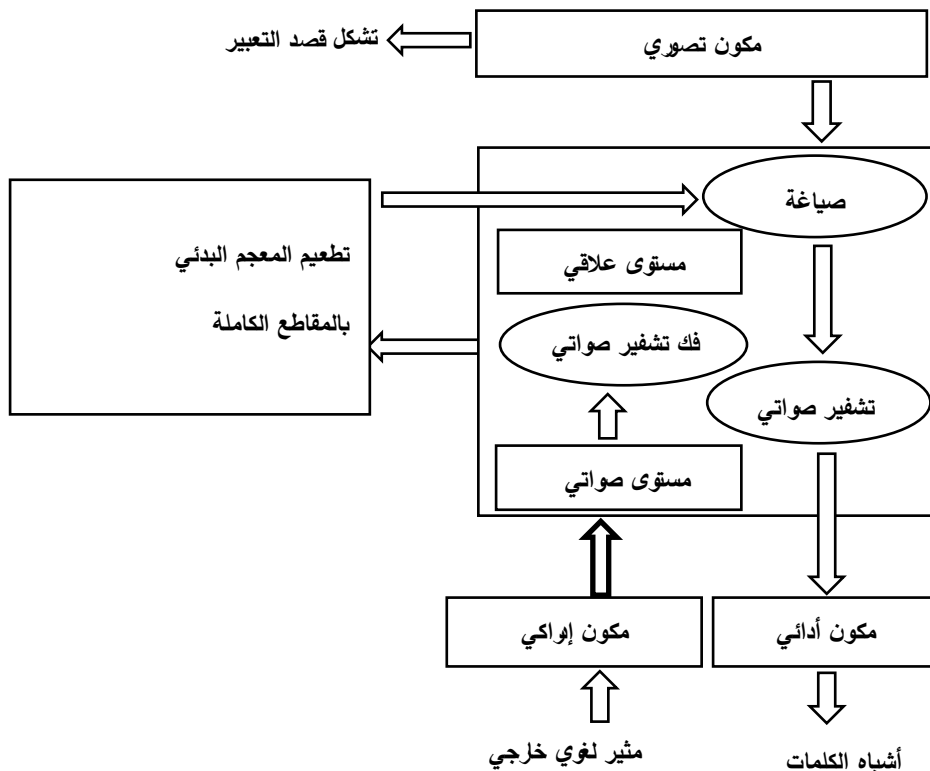
المستويات الثلاث التي تلوه و يقوم بمعالجتها، ثم يزود مكون الأداء بالمدخل المناسب فيقوم هذا الأخير بمعالجة المسائل المتناظرة كتردد المكونات والشدة والخصائص الطباقية والمدة، ويشتمل المستوى الصوتي . باعتباره مكونا نحويا حاسوبيا . على تمثيل الصوتيات المؤسسة وفق تعارض صوتي ثنائي، ولا يظهر في هذا المستوى نغم المركب التنغمي وإنما يأخذ عددا من الإشارات من كل طبقة ويقوم بنقلها إلى مكون الأداء، فيحولها هذا إلى نتاج لغوي سلس متدفق.

تننظم البنية الصوتية كما في (7):

(7) لفظ 2: [(مركب تنغمي 2): [(مركب صوتي 2): /ب - ب - ب - / (مركب صوتي 2)] [(مركب تنغمي 2)] (لفظ 2))

وتكون المناغاة فيما بين 6 إلى 9/8 أشهر مضاعفة تقوم على تردد نفس الوحدة الصوتية في سلسلة ثلاث أو أربع /ب - ب - ب - /؛ ت - ت - ت - /؛ /ب - ب - ب - /؛ ت - ت - ت - /؛ ثم تأتي بعدها المناغاة المتنوعة عبر تتابع وحدات صوتية مختلفة، ومن 9 إلى 15 - 18 شهرا تظهر ما قبل الكلمات، ويؤشر ذلك على نمو في المعجم الذهني واشتماله على خطاطات ذهنية بدئية تربط ما هو لساني : شبه الدال (ما قبل الكلمة) و المدلول بما هو غير لساني extralinguistique (المرجع)، إذ يؤول الطفل الشكل الصوتي (الدال) للتدليل بشكل ثابت ولو فترة من الزمن على كيان مرجعي على ما فيحاول مثلا تقليد صوت محرك عربة للتدليل به على نوع من العربات.

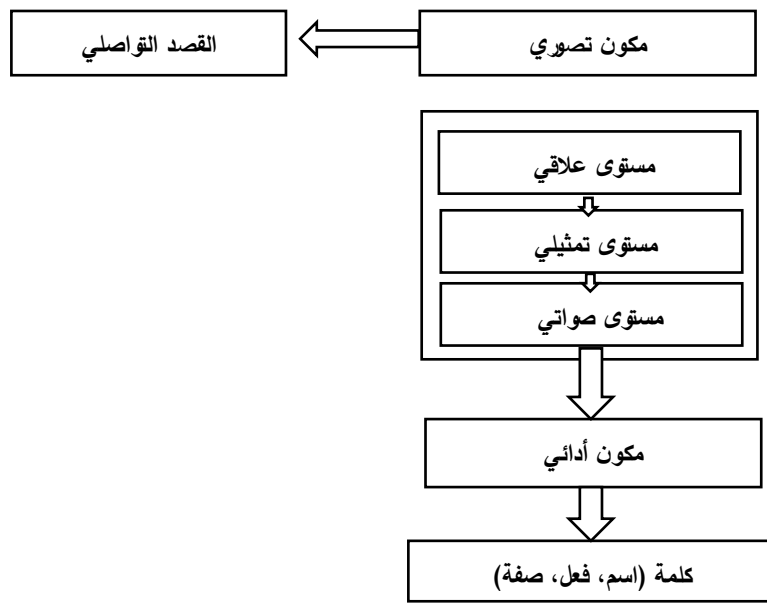
تمثل الترسيم 8. لإنتاج الرضيع للمناغاة المتقدمة وما قبل الكلمات أو أشباه الكلمات:



3.2.2.4 . النمو المعجمي

تبدأ أولى الكلمات بالظهور ما بين الشهر التاسع والشهر الثامن عشر، وهي تكشف عن نضج في التمثيل الذهني ، من خلال قدرة الرضيع على الربط المتقدم بين الدال و المدلول و المرجع ، و تشكل الأسماء أغلب ملفوظات الأطفال، وأما الأفعال المرصودة فهي قليلة مقارنة بالأسماء، تكون أمرية غالبا يحدد فاعلها من السياق فقط، كما يغيب فيها التوافق مع نوع الفاعل (ذكر أو أنثى).،وأما الصفات فهي نادرة في لغة الأطفال في مرحلة الكلمة الواحدة، وغالبا ما تكون ملفوظات الرضع سيئة النطق أو غير مكتملة، ربما لعدم اكتمال عمليات التشفير الصوتي في المكون اللغوي، أو لنقص في نضج المكون الأدائي.

تمثل الترسيمة 9. لإنتاج الكلمة المفردة وفق نموذج التبادل اللغوي الأوسع:



ويتحدد المستوى العلاقي كما في (10):

(10) [نقطة 3] [فعل خطابي 3: إقوة إنجازية (ك) (ط) فحوى خطابي 3: [حمل) = (إحالة)] [فعل خطابي 2) (تعيين)] [نقطة 2]

بحيث، ك: متكلم، ط: مخاطب. أسندت للفعل الخطابى وظيفة بلاغية هي التعيين وقوة إنجازية قد تكون تصريحاً أو استفهاماً يتحققان في المستوى الصوتي، ولقد تساوى الفعل الحلمي مع الفعل الإحالي، ذلك ان الطفل لا يسند للملفوظات نفس المعنى المتواضع عليه عند الكبار، وإنما يبلغ ذلك تدريجياً، وهو يعين باللفظة الواحدة الأب أو فعل ذهاب الأب.

ويأخذ المستوى التمثيلي البنية التمثيلية (11):

(11) [كد/شك قضية3: [واقعة 3: (محمول = موضوع) (واقعة3)] (قضية3)

وتُقرأ الترسيمة (11) على أساس ان طبقة القضية تحمل السمة الوجهية مؤكد في حالة الإخبار أو شك في حالة الاستفهام، وأن طبقة الواقعة قد تتضمن محمولا أو موضوعا، حسب الكلمة التي سينتجها الرضيع عن كانت فعلا أو صفة أو اسما

ويأخذ المستوى الصوتي البنية الصوتية (12):

(12) لفظ3 [متنازل/متصاعد < مركب تنغيمي3: [(مركب صوتي3: [(مفردة صوتية3: [(ب - ب - ب - /

ك ر - ج - /] (مفردة صوتية3)) [(مركب صوتي3)) [(مركب تنغيمي3)) (لفظ3)).

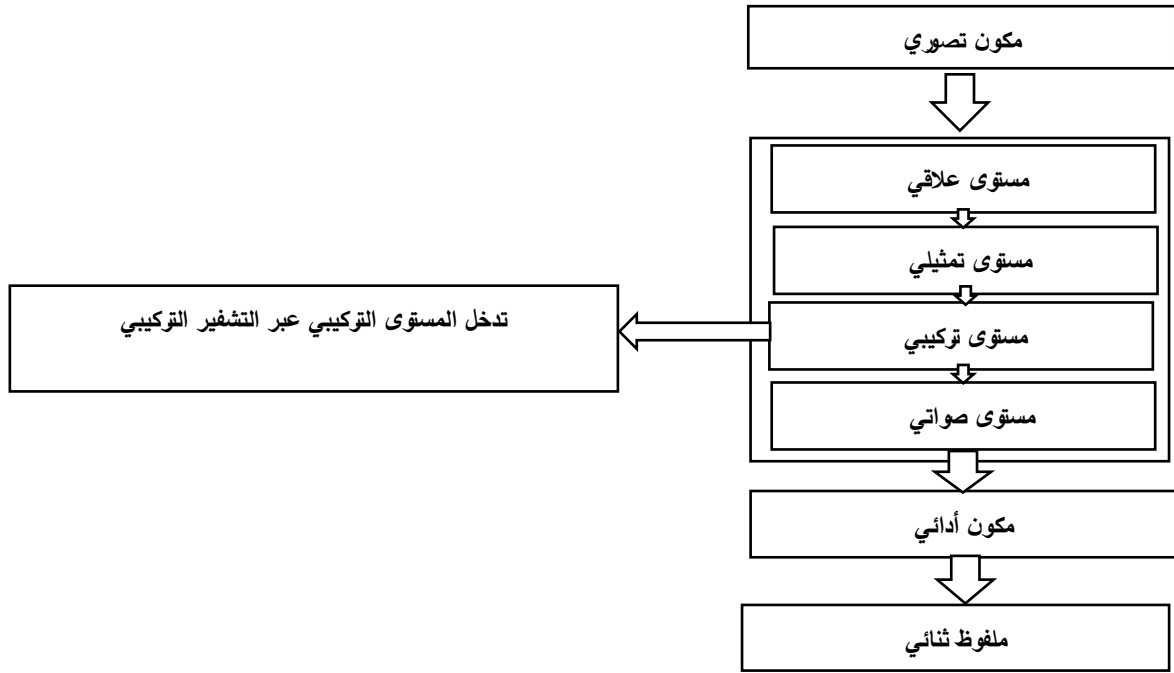
تُقرأ الترسيمة (12) كما يلي: يكون النبر نازلا إذا كانت القوة الإنجازية تصريحا / ب - ب - /، و يكون صاعدا إذا كانت استفهاما او امرا / ب - ب - /، وقد تتشكل المفردة الصوتية من اسم أو صفة او فعل .

4.2.2.4. النمو النحوي:

يعتبر ولوج الطفل إلى اللغة التوليفية ما بين الشهر 20 إلى 24 مرحلة هامة في نموه اللغوي وقد سبقتها مرحلة توسطت مرحلة الملفوظات من كلمة واحدة ومرحلة التعبير التولييفي وفيها يتمكن الطفل من إنتاج كلمات معزولة متتابعة يظهر ترابطها الدلالي جليا للملاحظ، بسبب حفاظ كل كلمة على محيطها النبري الخاص بها في وجود وقفة مدتها متغيرة مثلا في العامية المغربية: / ب - ب - ب - # م ش - / (ذهب أبي)، ويحذف الوقفة بين الكلمتين وإحاطتهما معا بنبر واحد عبر خفض الصوت في نهاية الكلمة الثانية، فيضمن المرور إلى مرحلة الملفوظات الثنائية والتي تسمح بالتعبير الواضح عن سلسلة من العلاقات الدلالية، وحين يبلغ الطفل الصغير شهره 30 تكون أغلب ملفوظاته منتظمة بالشكل الصحيح، لكن الأبحاث لم تقدم -بعد- تفسيرا دقيقا لكيفية تعلمه فهم الملفوظات باستعمال ترتيب الكلمات ولا تمكنه من ترتيبها وفق قواعد لغته.

تختلف ملفوظات الأطفال عن ملفوظات الكبار في أمرين اثنين أولهما: أنها تلغرافية تقتصر للمصرفيات النحوية من قبيل المحددات والضمائر وحروف المعاني والمساعدات والروابط والظروف، وثانيهما أنها تقتصر -أيضا- لوسم نمط الخطاب تركيبيا ولا تظهر الملفوظات الأنماط التداولية والإنجازية للجمل من خلال التركيب وإنما عبر النغم والنبر.

تظهر الترسيمة 13. إنتاج الملفوظات الثنائية



و تتحدد البنية العلاقية كما في (14) :

(14) [نقطة4] فعل خطابي 4: [قوة إنجازية (ك) (ط) فحوى خطابي3]: [حمل4] (إحالة4) [فعل خطابي4] (تعيين) [نقطة4]

وتأخذ البنية التمثيلية الشكل (15):

(15) [كد/شك قضية4: [واقعة 4: (محمول 4: نم.ش) (موضوع4: ب.ب) منفذ (واقعة3)] [قضية3]

وتسند للموضوع الوظيفة الدالية المنفذ.

وتتمظهر البنية الصرفية التركيبية كما في (16):

(16) ملفوظ ثنائي4 : [مركب4: [مفردة أ] [مفردة ب]] [مركب4] [ملفوظ ثنائي4]]

وإما البنية الصوتية فهي كما في (17):

(17) لفظ4 [ممتازل/متساعد < مركب تنغيمة4: [مركب صوتياً: ب - ب - /- (مركب صوتي أ)] (مركب صوتي ب: /م ش - /- (مركب صوتي ب)] [مركب تنغيمة4] (لفظ4).

الخاتمة

تناولنا فيما سبق مسألة الاكتساب اللغوي استناداً على نموذج التبادل اللغوي الأوسع ومكونه اللغوي نحو الخطاب الوظيفي (هنخفلد و ماكنزي، 2008) و (البقاسمي، 2017، 2019)، نتبعنا مراحل الاكتساب بدءاً من

النمو الصوتي وصولاً إلى ظهور الملفوظات الثنائية، غير ان المقام لم يتسع للاشتغال على نشوئية الجمل وما يستلزمه ذلك من تفسير لاستيعاب الطفل مبادئ التوليف و الصرف و الموقعة، واكتسابه للصرفيات النحوية من مخصصات وضمائر وروابط ولواصق، و لقد خالصنا إلى انه يصعب فصل إنتاج اللغة عن فهمها أثناء دراسة الاكتساب، وان الأبحاث قد تجاوزت المداخل الأحادية الصرفة إلى اعتماد النظريات ذات المداخل المتعددة.

نفترض بناءً على ما سبق ان نموذج التبادل اللغوي الأوسع يتوافق مع هذا التوجه ، فلقد تبين من خلاله أن نمو المكون اللغوي يتم بموازاة نضج المكونات الأخرى خاصة المكون الإدراكي، إذ لا بد من بلوغ الرضيع لنوع من النمو الإدراكي يتيح له استقبال المثير اللغوي الخارجي، وأيضاً نمو معرفي يسمح بالتسوية و المقولة ، ويزوّد المعجم برصيد متنامي من المقاطع ثم المفردات وما يرتبط بها من دلالات و قواعد صرف و تأليف و تداول، و نبتني ان التمهيدي يكون في البدء تطريزيا ثم دلاليا فتركيبيا، كما نقرّ باشتغالها مجتمعة في المراحل المتقدمة من الاكتساب، ثم إن الاشتغال في المكون اللغوي يقتصر على المستويين البلاغي و الصوتي قبل ان يتدخل المستوى الدلالي في مرحلة الكلمة المفردة و المستوى الصرفي التركيبي مع ظهور الملفوظات الثنائية.

نستخلص إذن أن تحفيز الاكتساب يستلزم الاشتغال على كل مداخله ، من خلال توفير المثير اللغوي المناسب في فترة الاكتساب الحرجة ، ثم استفزاز ذهن الطفل بأنشطة ذهنية تفاعلية تنمي قدراته على التعميم و الاستيعاب و التكيف، فضلاً عن الحرص على سلامة المكون الإدراكي من خلال عدم اعتلال أو قصور باحات الاستقبال السمعي و البصري للغة بالدماغ والمناطق المتحكمة في حركة الجهاز الصوتي ، ثم سلامة جهاز النطق من الاختلالات العضوية و الوظيفية، كل ذلك بغرض مساعدة الأطفال على اكتساب اللغة التي تعد اهم وسيلة تواصلية تتيح لهم الاندماج الاجتماعي و الرضى النفسي.

المصادر والمراجع

- البوشيخي، عز الدين. (1998). قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأبناء أطروحة دكتوراه. مكناس: كلية الآداب.
- البوشيخي، عز الدين. (2005). نظرية النحو الوظيفي وتعلم اللغات في: أعمال ندوة تعليم اللغات، نظريات ومناهج وتطبيقات، منشورات جامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس - سلسلة الندوات، (15)، 121-135.
- البوشيخي، عز الدين. (2012). التواصل اللغوي مقارنة لسانية وظيفية (نموذج مستعملي اللغات الطبيعية) بيروت، مكتبة لبنان ناشرون
- البلقاسمي، بشرى. (2018). نحو الخطاب الوظيفي: نموذج متعدد المقاربات. في قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية والجمالية: التحولات والرهانات، الجزء الأول: قضايا لسانية معاصرة، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، 407-447
- البلقاسمي، بشرى (2020)، نحو الخطاب الوظيفي: تطور النمذجة. اللسانيات الوظيفية: النظرية والنماذج والمقاربات. عمان، دار كنوز المعرفة، 295-324

- البلقاسمي، بشرى (2021)، الاضطرابات اللغوية، مقارنة لسانية وظيفية. إريد، دار ركاز للنشر والتوزيع
- الفاسي الفهري، عبد القادر. (2000). اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- المتوكل، أحمد. (1995). قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي -التداولي-الرباط: دار الأمان.
- المتوكل، أحمد. (2010). الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر، ودار الأمان: الرباط.
- Austin, J. L. (1970). *Quand Dire, C'est Faire= How to Do Things with Words*.
- Bresnan, J., Kaplan, R. M., Peters, S., & Zaenen, A. (1982). Cross-serial dependencies in Dutch. In *The formal complexity of natural language* (pp. 286-319). Springer, Dordrecht.
- Bruner, J. (1985). Child's talk: Learning to use language. *Child Language Teaching and Therapy*, 1(1), 111-114.
- Cromer, R. F. (1991). *Language and thought in normal and handicapped children*. Basil Blackwell.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of a theory of syntax*. Cambridge, MA : MIT press
- Chomsky, N. (2000). *New horizons in the study of language and mind*. Cambridge University Press.
- Dell, G. S. (1986). A spreading-activation theory of retrieval in sentence production. *Psychological review*, 93(3), 283.
- Dell, G. S., & Chang, F. (2014). The P-chain: Relating sentence production and its disorders to comprehension and acquisition. *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences*, 369(1634), 20120394.
- Dehaene-Lambertz, G. (2004). Bases cérébrales de l'acquisition du langage : apport de la neuro-imagerie.
- *Neuropsychiatrie de l'enfance et del'adolescence*, 52(7) ,452-459.
- Dehaene,S (2020).L'influence du langage et des symboles sur la perception et la cognition. Disponible en ligne à :
- <https://www.college-de-france.fr/site/stanislas-dehaene/course-2020-2021.htm>
- De Saussure, F. (1989). *Cours de linguistique générale : Édition critique (Vol. 1)*. Otto Harrassowitz Verlag..
- Dik, S. C. (1978). *Functional grammar* (= North-Holland Linguistic Series, 37).Amsterdam etc. : North-Holland.
- Fodor, J. (1983). *The modularity of mind*. Cambridge, MA : MIT press.
- François, J. (2019). Noam Chomsky. L'acquisition du langage. *Les Grands Dossiers des Sciences Humaines*, (3), 24-24.
- Gardner, H. (1983). *Frames of mind: the theory of multiple intelligences*, New York: Basic Books.

- Gopnik, A., & Meltzoff, A. N. (1992). Categorization and naming: Basic-level sorting in eighteen-month-olds and its relation to language. *Child Development*, 63(5), 1091-1103.
- Hengeveld, K., & Mackenzie, J. L. (2008). *Functional Discourse Grammar: A typologically-based theory of language structure*. Oxford University Press.
- Hengeveld, K., & Mackenzie, J. L. (2010). *Functional discourse grammar*.
- Heurtebise, J-Y. (2009). *La pensee et le langage*. Disponible en ligne à :
- http://www.cafepedagogique.net/lemensuel/laclasse/Pages/2009/104_Lapenseeetlelangage.aspx. Mis en ligne en 2009, consulté en 2014
- Jisa, H. (2003). *L'acquisition du langage. Ce que l'enfant nous apprend sur l'homme* (No. 40, pp. 115-132). Association Terrain.
- Kail, M. (2000). Chapitre 1. Perspectives sur l'acquisition du langage. In *L'acquisition du langage. Vol. I* (pp. 9-27). Presses Universitaires de France.
- Lenneberg, E. (1967). *Biological foundation of language*. New York : wiley
- Levelt, W. J. M. (1989). *Speaking: from intention to articulation*, M.I.T press, Cambridge, Ma.
- McNeil, D. (1970). *The acquisition of language*. Harper and Row.
- Moreau, M.L., Richelle, M. (1997). *L'acquisition du langage*. Sprimont : Mardaga.
- Oléron, P. (1977). *Le raisonnement*. Puf.
- Piaget, J. (1979). Schèmes d'action et apprentissage du langage. In M. piattellipalmarini (ed.), *Théorie du langage. Théories de l'apprentissage*, 247-251. Paris : Seuil.
- Pinker, S. (1994). *The language instinct*. New York : Norton.
- Rondal, J.A. (2006). *Expliquer l'acquisition du langage : caveats et perspectives*. Sprimont (Belgique) : Pierre Mardaga éditeur.
- Rosen, D.C., Sataloff, R.T. (1995). Psychological aspects of voice disorders in *Diagnosis and treatment of voice disorders*, in J.S. Rubin, R.T. Sataloff, G.S. Korovin, W.J. Gould, ed. Igaku-Shoin, New York /Tokyo, 491-501.
- Rossi, J.P. (2009). *Psychologie de la compréhension de langage*. Bruxelles : de Boek.
- Skinner, B. F. (1988). *The selection of behavior: The operant behaviorism of BF Skinner: Comments and consequences*. CUP Archive.
- Slobin, D. I. (1996). From "thought and language" to "thinking for speaking".